

خطباء بني هاشم وبلغاء رجال القبائل قلنا في وصفهما على حسب حالهما والفرق الذي بينهما، ولأننا عسى أن نذكر جملة من خطباء الجاهليين والإسلاميين والبدويين والحضريين، وبعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم». (١-٩١)، وقوله : «وهذا الباب يقع في كتاب الجوارح، وهو وارد عليكم إن شاء الله بعد هذا الكتاب» (١-٩٤، ٩٥)<sup>(٨)</sup>.

على أن الجاحظ لا يبدو فحسب واعيا بتصنيف أبوابه كما في قوله : «وإنما نقول في كل باب بالجملة من ذلك المذهب وإذا عرفتم أول كل باب كنتم خلقاء أن تعرفوا الآخر بالأوائل والمصادر بالموارد». (٢-٣٠) وإنما هو واع بدوافع هذا التصنيف مما يبرز صريحا في بعض المواطن : «وكان في الحق أن يكون هذا الباب في أول هذا الكتاب ولكننا أخرناه لبعض التدبير». (١-٧٦).

ويطفو هذا الوعي المنهجي على سطح التأليف فيتجاوز مادة الكتاب الواحد مما كان الجاحظ بصدد تأليفه ليصبح وعي المقارنة بمادة بعض كتبه الأخرى<sup>(٩)</sup>.

\* \* \*

تلك بعض أبعاد إدراك الجاحظ لضرورة انبناء كتابه على منهج عقلاني إلى حد بعيد وهو ما يثبت لنا سعيه إلى إحكام

(٨) قارن ذلك بما ورد في كتاب الحيوان (ج ٥-ص ١٥٤-١٥٦).

(ج ٦-ص ٦٥٥، ٩٠٧).

(٩) راجع (ج ١-ص ٢٢٥).